السكاكيني والنشاشيبي:
مدرستان في النقد الأدبي الصحيح

جهاد أحمد صالح

كاتب وباحث

خضعت فلسطين، هذا القطر الصغير للسيادة التركية، ووقع في ظلام نظام إقطاعي بغيض، وامتدّ الركود الذي أصاب حياة أهله قرونًا[1] حتى جاء في نهاية الحكم العثماني أيام السلطان عبد الحميد، حيث «التقى العرب والأتراك على هدف واحد الغاية منه تحطيم الحكم الحميدي ممثل الإقطاعية الاستبدادية المطلقة حتى يتاح للعناصر البرجوازية التركية كسر شوكة السلطان المستبد. وكان العرب يرمون من وراء ذلك إلى إيجاد مقوّمات خاصة بالشعوب العربية تضمن لهم السيادة القومية السياسية والاقتصادية»[2] وبدأت طلائع التنبيه واليقظة تظهر على الناس... ولكن بعد إسقاط الحكم الحميدي الإقطاعي داخل تركيا، ورجحان الكفة بجانب الاتجاه البورجوازي، عاد الاتحاديون المنتصرون إلى التمسك بنظام السلطنة الإمبراطوري، إذ رأوا فيه النظام الذي يضمن لهم النهب والاستمرار، فنتج عن ذلك فقدان التقارب التركي العربي، وظهر للعرب أن اضطهادهم انتقل من يد السلطان ممثل الاستبداد الإقطاعي المطلق إلى يد العناصر البرجوازية التركية التي آزرها أول الأمر، وهذا ما دفع العرب إلى مكافحة كل أشكال السيطرة التركية متخذين أهدافًا تتناسب ومختلف الأوضاع التاريخية... لأن النزعة القومية (الطورانية) التي انتهجها الاتحاديون الأتراك استفزت الشعور القومي في شعوب الإمبراطورية جميعًا. وقد صاحب ذلك ظهور

الرأسمالية في التربة العربية، تلك البذور التي نثرها ازدهار الاستعمار الغربي في مطلع القرن العشرين، حيث أخذ يندسّ في الأقطار العربية، وقد رأى في هذه البلاد أخصب الأسواق للرأسمال الغربي(3).

وكما كان العرب ينتهزون فرصة التناقض بين المصالح التركية والمصالح الأوروبية ويجدون في ذلك منفذًا لدعم صفوفهم وتنظيم حركاتهم، كانت الدول الأوروبية ترقب التناقض بين المصالح التركية والمصالح العربية، وتتخذ الحيطة لتوجيهها الوجهة التي تخدم مصالحها الاستعمارية، وأغراضها الاستثمارية(4).

ومنذ أن أنفرد الإنكليز بفلسطين، وهم يحاولون إيهام العالم بأن القضية الفلسطينية قضية معقّدة، ويحاولون أن يوجدوا فيها أطرافًا متعددة، ولقد دخل العالم معهم في دوّامة، وكاد العالم العربي يدخل في الدوامة نفسها، مستغلّة الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. ركّزت، مثل غيرها في الغرب، في صورة الفلسطيني «باعتبارها الأرض المقدّسة نتاج النصوص التاريخية على الفترات التوراتية والصليبية والحديثة (ولا سيما بعد الاحتلال البريطاني سنة 1917م) لأنها عُدّت ذات صلة مباشرة بالتاريخ الأوروبي في الوقت نفسه، ساد تجاهل مئات الأعوام من الحكم العربي الإسلامي»(5).

ولهذا لن نتطرق إلى البحث المعقّد الذي أراده الإنكليز للقضية، ويكفي أن نؤكد «أن تكون قضية نزاع بين شعب أصلي يطالب بحقه الطبيعي في الحرية والاستقلال، وبين سلطة استعمارية مستبدة تسيطر على جميع مقدرات البلاد وتضعها في أوضاع وظروف سياسية واقتصادية تسبب لها الارتباكات والاظطرابات، وقد خلقت السياسة الاستعمارية البريطانية - تدعمها في ذلك السياسة الأميركية - سلسلة من التعقيدات في الحياة العربية الفلسطينية، فجعلت من الولايات المتحدة طرفًا رسميًا في القضية، واتخذت من اليهود وسيلة لترسيخ سيطرتها على البلاد ولخدمة الإستراتيجية الاستعمارية، وجعلت توهم الناس بأنها تعالج القضية وتبغي حلها(6).

وهكذا خرجت فلسطين من قيود الحكم العثماني الاستبدادي الإقطاعي، ووقعت في شباك الاستعمار الإنكليزي وصنيعته الاستعمار الصهيوني، ومن وراء ذلك كلّه الاستعمار الأميركي، لتكون نقطة ارتكاز يحافظون بواسطتها على مراكزهم الاستعمارية في الشرق الأدنى(7).

يقول الدكتور عبد الرحمن ياغي: «وكل هذه الأدوار التي مرّت بالبلاد العربية، شارك هذا القطر (فلسطين) بنصيبه الوافي: فكان له في الأدوار الأولى ممثلون في عهد التنظيمات، وكان لـه مـن يمثّله في كل حزب أو جمعية أو مؤتمـر، وكان له نواب في مجلس (المبعوثان) العثماني، يرفعـون أصواتهـم جريئة في النقـد والاحتجاج والمعارضة، ولم يعرف هـذا الوطن الصغير طعم الاستقرار السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، في هذه العهود، سواء أكان ذلك في عهـد الحكم العثماني أم عهد الانتداب الإنكليـزي الصهيوني، وقد صبغ ذلك كلّه نضال بلون خاص، ووجّه حياته الأدبية والثقافية وجهة معينة»[8].

وقـد ترافق ذلك، في نهاية الحكم العثماني، وبداية الاسـتعمار الغربي لغالبية الأقطار العربية، ظهـور العوامـل المباشرة للنهضـة الفكريـة والأدبية التـي سـاهمت في تطـوّر المجتمعات العربيـة، من تطـوّر التعليم الوطني والتبشـيري، وظهور المطابع وبـروز الصحافة وطباعة الكتب، وانتشار الجمعيات المبكرة للبحث العلمي والآثار والتحقيق، والإذاعة، والنوادي والجمعيـات الأدبيـة والرياضيـة والتمثيليـات، بالإضافة إلى ظهور الترجمـة وقراءة تجارب الشعوب وتطور مجتمعاتهـا[9]. وكان نصيـب قطرنا الفلسـطيني مـا يزيد مـن فعالية هذه العوامـل، أو يقل، إلاّ أن تصديه لتبعات الـصراع العربي الإسرائيلي وإقامة الدولة اليهودية في فلسطين قد أثّر تأثيرًا مباشرًا على المجتمع بشكل عام، وعلى طبيعة التحديات التي حملتها النهضة الفكرية والأدبية، وما شهدته الساحة الثقافية من تجاذبات فكرية واتجاهات أدبية.

وكما كان التقاء في السياسة، في نهاية الحكم العثماني بين البرجوازية العربية وبين الأرستقراطية العربية»، «كان في فلسـطين، لقاء بين البرجوازي الصغير خليل السـكاكيني»[10]. في الثقافة وبين سـليل الأرستقراطية إسعاف النشاشـيبي»[11] وكما كانت هناك ظروف طبيعية دفعت بالأسـتاذ السـكاكيني إلى أن يتلقى ثقافته في (مدرسـة الشـبان)، فقد كانت ظروف طبيعية مماثلة دفعت بالأسـتاذ إسـعاف النشاشـيبي إلى أن يتلقـى ثقافتـه في دار الحكمة - بيروت، الأول أسـتاذه نخلـة زريـق، والثـاني أسـتاذه عبـد الله البسـتاني المشـهور بولعـه بالتعريب والأساليب القديمة.

ويلتقي إسـعاف الوارث، والسـكاكيني الكادح، بعد أن عاد الأول إلى القدس من بيروت «يحمل قصيدة من نظمه ودّع بها مدرسته، وقد طبعها بماء الذهب وجعل يوزّعها على أدباء ذلـك الزمان مفتخـرًا بها. وحقّه أن يفتخر لأنه لا ينتظر ممن كان في سـنّه أن يعمل مثلها... وحاول أن يتصل بالطبقة المثقفة في ذلك الزمان وقد تخرّجوا فيما كان في زمانهم من المدارس

الأجنبية الإفرنسية أو الإنكليزية، وتولّوا أعمالًا مختلفة... فمنهم من أعجب به وقابله بالتشجيع، ومنهم من تبرّم به فلم يعره جانب الالتفات[12]. أما أنا – يضيف السكاكيني: فشجعته وأثنيت عليه فلزمني في ليله ونهاره[13].

ويقول أيضًا: سافرت إلى أميركا فلما أعلن الدستور (العثماني 1908م) رجعت إلى القدس، وعاد إسعاف إلى ملازمتي في الليل والنهار، وجعلنا نكتب ما توحيه الظروف، وجاء المرحوم حنا عيسى من يافا إلى القدس.. وكنّا نحن الثلاثة على اتصال مستمر، وكان إسعاف مولعًا ببديع الزمان الهمذاني ينسج على منواله في كتابته، وكنت أنا مولعًا بأبي الطيب المتنبي، وكان حنا عيسى مولعًا بالأصمعي، فتوزّعنا كنى هؤلاء الثلاثة. أما إسعاف فكنّيناه أبا الفضل، وأما أنا فكان نصيبي كنية المتنبي وهي أبو الطيب، وأما حنا عيسى فكنيناه أبا السعيد وهي كنية الأصمعي، وعرفنا من ذلك الحين بهذه الكنى وشاعت على الألسن.

ثم أعلنت الحرب العالمية الكبرى، ومما أذكره لإسعاف بالشكر والإعجاب أنه كان إذا عرف أننا لا نجد خبزًا يحمل شيئًا من الطحين على ظهره ويأتي به إلينا[14].

لقد جمعت الصداقة بين خليل السكاكيني وإسعاف النشاشيبي، فهل كانت كفيلة بتوحيد رؤيتهما الثقافية والفكرية، وهل توثقت بها عراها؟

وكان نظم الشعر ميدانه الأول، وقد «أصبح للشعر أغراض أوثق اتصالًا بالحياة من الأغراض التي راجت في المرحلة الأولى... فأصبح الدستور والحرية غرضًا من أغراض الشعر، وكذلك الوظائف وعشاقها، والاستعمار والخطر الصهيوني، والعلم والكدح، ووصف الطائرة، والموضوعات الاجتماعية بأنواعها، والبنات وما يتمنى لهن، والسجون والوطنيات بأنواعها، والحرب والدعاية.. وما إلى ذلك من الأغراض.

ومن هذه الأغراض يتبين لنا أن الشعر قد زجّ في معركة الحياة، وأنه سلك في ذلك سبيلين: شعر يمثل التيار الصاعد، أو اللون المشير إلى مستقبل جديد.. وشعر يجاري الواقع المعاش، ويخضع لمقاييسه الفكرية والأدبية»[15].

«ولعله كان من الخير لحياة الشعر في هذه المرحلة أن يتصل إسعاف النشاشيبي الأرستقراطي الوارث بالبرجوازي الصغير ابن معلم النجارة خليل السكاكيني، وأن يربط حياته بحياته، فيكسب التيار الصاعد لسانًا قويًا كلسان إسعاف، ويخسر التيار الجامد قوة من قواه الكبيرة[16].

لقد بدأ السكاكيني شعره بميزات المدرسة الرومانسية أو الرومانتيكية في الغرب، فقال عام 1907م، رسالة إلى حبيبة قلبه سلطانة:

إلى اليوم لم أدر الصبابة والهوى
فما سرني قرب ولا ساءني بعد
حفظت من هوى كل غادة
فلم تصبني سعدى ولم تُلهني هند[17]

وفي قصيدة أخرى يرسلها إلى «سلطانة» يقول:

وهبت فؤادي فلا أرجعه وإن هان عندكم موضعهْ
ونطت بكم حبل ودي فمهما أسأتم إليّ فلا أقطعهْ

ويختمها بقوله:

فماذا ترى كان ذنبي ومن ذا تراه بذنبي أستشفعه[18]

أما إسعاف النشاشيبي، فقد كان ثمن اتصاله بالشعر في بدايات نظمه له، قصيدة من أربعة وعشرين بيتًا يقول فيها:

العرب مات شعورهم فاندبه دهرك باكيا
ولّى فولّى بعده أنسي وساء مآليا
قد كنت أطمح أن أرى وطني بهيجًا زاهيا
فوجدته من كل علم أو علاء خاليا[19]

وقد أخذ الإحساس بالكيان العربي يملأ نفوس الناس وكان إسعاف من أوائل الذين استجاب إحساسهم لما رجوه من منح الدستور، فقال في قصيدته «في ذكرى فتاة مكدونيا» يقول:

اخطري اليوم في الربوع اختيالا لا تخافي من العدو اغتيالا
لا تخافي من كيده لا تخافي إنّ كيد العدو ولّى وزالا[20]

ومن أغراض الشعر في مرحلة التحول من نهاية الحكم العثماني إلى بداية العهد الاستعماري

الغربي البريطاني، يقول خليل السكاكيني عندما سيق إلى سجن في الشام عام 1917م:

ذكّراني وإن أكن غير ناسِ   بزمانٍ جمّ الولاء مؤاسِ

ذكّراني أيام كنت سعيدًا   لا أقاسي من الجوى ما أقاسي

ذكّراني وإن تصدّع قلبي   وتلطّخت من حرّها أنفاسي

ويختم قصيدته المكونة من اثني عشر بيتًا من الشعر بقوله:

كل خطب يهون عندي فإني   إن تجل الخطوب طودُ رأسي[21]

وبسبب تفجر الصراع بين الفلسطينيين من جهة، والاحتلال البريطاني المنحاز إلى المشروع الصهيوني من جهة أخرى، وتغلغل الأحداث الثورية في حياة الناس أخذ الشعر يعالج القضايا العامة يمتزج فيها الحس بالفكر امتزاجًا تامًا لا أثر للازدواجية فيه، ومن هنا نشأت في حياة الشعر في هذه المرحلة معارضات أيديولوجية همّها المضمون الشعري أكثر من المعارضات الشكلية في اللغة والبلاغة.

وكان المهتمون بالشعر والنقد، وهم يراقبون المشهد، يتوقعون أن يمضي السكاكيني والنشاشيبي في هذا الاتجاه، ويدعمان موقفهما النقدي بإنتاج شعري متميّز. إلا أن الحقيقة كانت مغايرة تمامًا.

ففي الوقت الذي «كدنا نظفر بالأستاذ السكاكيني شاعرًا لهذا الاتجاه في حياة الشعر، إلّا أن مصابًا نزل به تجاوز طاقته، فصرفه عن المضي في هذا اللون من ألوان الشعر.... وقال ثلاث قصائد فائضات بالأسى والجزع والشجن (بوفاة زوجته سلطانة) وفيها يمتزج الحس بالفكر، وثار حتى على القضاء، فكتب تحت رسمه (لن نرضى)، فقد فَقَدَ من كان يخوض الحياة معها، وتشد من عزمه، حيث تعترض الخطوب، وتقوم العقبات»[22]. فيقول في الفصل العاشر عنوانًا في يومياته التي عنونها (تعالوا نتقرض!):

فيا لك من حلم جميل قد انتهى   ويا لك من حزن طويل قد ابتدا[23]

وتحت هذا العنوان نظم قصيدة «قفا نبك» من اثنين وعشرين بيتًا من الشعر، يقول في مطلعها:

قفا نبك من ذكرى أذابت حشاشتي

ولا تبخلا بالدمع، فالدمع حاجتي

قفا أسعفاني في مصابي، فإنني

أراه مصابًا قد تجاوز حاجتي

ويختمها بقوله:

ألا: لا عزاء يا خليلي بعدها

ألا: لا عزاء فاتركاني وحالتي[24]

ويستهل قصيدته الثانية «أسعفاني بالبكاء» المنظومة في أربعة وعشرين بيتًا من الشعر بقوله:

أسعفاني بالبكاء   ودعا كل عزاء

لا تقولا: الصبر يجدي   حين يشتد البلاء

ويختمها بقوله:

آه! لو أن المنايا   قبلت عنك الفداء

كنت أفديك بروحي   أنت أولى بالبقاء[25]

كما يستهل القصيدة الثالثة، وهي بعنوان «سنتي الماضية» من اثني عشر بيتًا من الشعر بقوله:

لك الويلُ يا سنتي الماضية!   لك الويلُ من سنةٍ جائية!

لقد كنت، مذ كنت بين السنين   على بيتي الضربة القاضية

ويختمها بقوله:

فيا ليتني كنت في الذاهبين   ويا ليتها كانت الباقية![26]

وهكذا توقف خليل السكاكيني من نظم الشعر، لأن فيه ما يثير أساه وشجونه، ولحسن الحظ أنه نقل هذا التيار من الشعر إلى النثر، فأبدع فيه.

أما صديقه إسعاف النشاشيبي، فقد أراد لنفسه أن يكون أديب العروبة من الطراز الأول: ولمّا لم يُحلّه شعره هذه المرتبة زهد فيه، وحقّق له النثر ما عجز عنه الشعر، غير أننا قد ظفرنا له بقصيدة تطفح عاطفة وشعورًا، وقد حررتها العاطفة الدافقة من قيدين: قيد القافية، وقيد وحدة البيت، فجاءت صورة عاطفية للجزع والهلع والنواح، وحين يقتضي النواح أنغامًا متشابهة تعود القافية للظهور»[27].

وهـذه القصيـدة قيلت في التأبين ليوم الأربعين في بيت المقدس، ونابلس وحيفا، حيث أقيم مأتم للشاعر أحمد شوقي، ويستهلها بأبيات لشوقي نفسه، ثم لأوس بن حجر، ثم لحبيب، فيقول:

إنما الدنيا شجون تلتقي   وحزين يتأسّى بحزين

ضحك الدنيا احتشاد للبكا   وأغانيها مُعدّات الأنين

وتبلـغ هـذه القصيدة امتدادًا وطـولًا، حيث تتجاوز عشر صفحـات[28]، توقف بعدها عن نظم الشـعر، وهكذا كان دور الصاحبين السـكاكيني والنشاشـيبي في الشعر ثم توقفا عنه، ومضيا يمارسان النثر حتى أصبحا زعيمين لا يجاريان، وصاحبي مدرستين كبيرتين في حياة الأدب.

مـن ناحية أخـرى، التقى الصاحبـان بمفهوم الدين، وبفكرة «الإنسـان الأعـلى» التي تأمر الإنسان بالأحلام الكبيرة، وتأمر إرادة الإنسان بتحقيق الحلم الذي راوده.

ولعل أفكار الحلم والعلو والإرادة والسمو هي التي دفعت خليل السكاكيني إلى الإعجاب بنيتشه والمتنبي والسيد المسيح، وإلى إكبار الثلاثة جميعًا، دون اضطراب أو ارتباك، فما أعجبه لـدى الفيلسـوف الألماني هو «فلسـفة القوة» كما فهـما، التي تفصل بين القـوي والضعيف، ولا تلتفت إلى معايير أخلاقية مجرّدة، مثل الحق والباطل وما شـابههما، وما جذبه إلى السـيد المسيح ماثل في المحبة والتسامح والارتقاء بالروح عن مفاسد الأرض ومغرياتها. أما المتنبي فقائمة في روح طموحه مشتعلة، تتطلع إلى مثال بالغ البعد لا يراه أحد. عثر السكاكيني عند الأسماء الثلاثة على صفات رفيعة كان يهجس بها»[29].

كان كارهًـا لـكل ألـوان التعصـب والانغـلاق، وخصمًا عنيـدًا لكل أشـكال الإكليروس، مسـيحيًا كان أم غير مسـيحي... ويذكـر في مذكراته بحزن ومرارة، آثـار التعصّب الديني، ذلك أنه ينقض فكرة «الله محبة». ويبدد الجهد الوطني ويترك العدو الصهيوني مرتاحًا[30].

وهكذا، خاض صراعًا مريرًا لتسـلّط رجال الدين اليونان على شؤون الطائفة الأرثوذكسية في فلسطين، وإصلاح أحوال الطائفة المعتزة بعروبتها والمتمسّكة بشرقيتها[31].

وفي الجانب الآخر، نجد أن إسـعاف النشاشـيبي كان مولعًا ببديع الزمان الهمذاني، وحديثًا أحمـد شـوقي معتبرًا أنهما حافظا عـلى اللغة العربية والأصـول الثقافية فيها، ونراه متمسـكًا بالقائد صلاح الدين الذي أعاد الاعتبار إلى القدس، أما مثله الأعلى في المحبة والدين، فهو

محمد ودينه السليم، البعيد عن التفسيرات والتعقيدات، وكان على رأس إنتاجه الصاعد في ذلك الوقت «كتاب الإسلام الصحيح»(32). الذي جاء بحثًا وتحقيقًا وردًّا وحجاجًا وقراعًا فكريًا، كان ثمرة لتياره الذي مضى يهدر في تلك المرحلة، مبيّنًا روح التساوي والتسامح فيه «محمد دينه دين التساوي ودين العدل والنصفة، فلا شريف ولا مشروف ولا كبير أو صغير، ولا أمير ولا مأمور، ولا قبيل أفضل من قبيل، ولا قوم خير من قوم»(33). ويقول:

«إنما الإسلام دين التساوي فالصعلوك مثل الرئيس ومثل الملك، والملك والرئيس مثل الصعلوك في هذا الدين(34). وبيّن أنه لا توجد طبقات في الإسلام، فيقول: «ليس في كلام الله متشبث يتشبث به مستعبدون ليثبتوا اختلاف الدرجات وتفاوت الطبقات في الإسلامية بين المسلمين. إن الآية تخذلهم ولا تنصرهم، هم منتفخون نفّاحون، وشقاقون مشعبذون من الهاشميين والقرشيين والعرب، وهم منافقون مراؤون يشايعون ذا السلطان وهم أغمار جاهلون – وفي العلماء جهلاء – تألبّوا على كتاب الله وتظاهروا على تحريف دين الله»(35).

وهكذا كان النشاشيبي يسير بمدرسته في تيار صاعد أيضًا! لم توهن من عزيمته متانة اللغة، ولم تثقله في سيره الصاعد تلك الزينات الرائعة التي كان يحلّي بها تعبيره!(36)

وقد دخل إسعاف هذا (القراع الفكري) وهو الطابع المميز لهذه المرحلة، نورد خلالها فقرتين من مذكرات عجاج نويهض عن «الريحاني – وإسعاف والثعالبي» يقول فيها: «جعل إسعاف ينشر من حين إلى آخر فصولًا في صحف مصر، تدور حول موضوعات إسلامية دقيقة، لا يسلكها إلاّ مشيخة العلم... وابتدع إسعاف له طريقًا في إثارة الموضوع طردًا وعكسًا... بين كاتبين.. جعله يكتب ويرد على كتابته في نفس الموضوع، وسار على هذا الطريق، سنة أو أكثر»(37).

ويبدو الخلاف بين المدرستين جليًا واضحًا في قضية التعليم ورسالة المدرسة، والعلاقة بين الطالب والمعلّم، وما نتج عنه من صراع عنيف بين دعاة التجديد والمحافظين على القديم في اللغة ومختلف جوانب الحياة.

وقد عُرف أن السكاكيني وقف على رأس اتجاه التجديد في الأسلوب والموضوع، والتطوّر مع روح العصر، ومقتنيات الزمن في الكتابة الفنية في بداية عصر النهضة في فلسطين، وكان أصحاب هذا الاتجاه الجديد هم الذين يصنعون حياتهم بأيديهم، ويملكون زمام أنفسهم بأنفسهم، مجنحون إلى الواقعية المتماشية مع تطوّر العلم وروح الحياة العصرية(38).

ويشكّل التعليم في حياة السكاكيني، على الرغم من وجوهها النبيلة المتعدّدة، الوجه الأكثر وضوحًا وإشراقًا، إن لم تكن حياته كلّها هي جهده التعليمي الجليل من أجل فلسطين جديدة، فقد أسس «المدرسة الدستورية» في القدس عام 1909م، وأصبح في دائرة المعارف بلواء القدس من أجل إصلاح جهاز التعليم عام 1914م، وعيّن مديرًا لدار المعلمين في القدس عام 1919م، وهو العام الذي انتخب فيه عضوًا في المجمع العربي بدمشق، كما أسس بعد تقاعده «كلية النهضة».. أو» مصنع الرجال» كما قال عام 1938م. ذلك أنه اعتقد دائمًا «أن من المدارس الجديدة أن تعلّم الناس الثورة، لست أعني «ثورة السلاح» فإن ثورة السلاح أهون الثورات، وإنما أعني الثورة على كل قديم بالٍ، على الأخلاق الفاسدة، على النظم المعوجة...» على نقيض مدرسة تقليدية مستمرة حتى اليوم، تفصل بين التعليم وحاجات الإنسان الفعلية، فدعا إلى مدرسة توحّد بين المعارف وحاجات الإنسان، الاجتماعية منها والوطنية، وتعلّم التلميذ أن له حاجات كثيرة، إن أشبعها أصبح إنسانًا حقيقيًا ووطنيًا لا يباع ولا يشترى[39]. ويقول في رسالة لابنه سرّي:

«لا أزور مدرسة إلا بثثت فيها الحياة ونوّرت البصائر، وأرشدت إلى أحدث الأساليب في التربية والتعليم... وأهم ما أدعو إليه أن تكون الحياة في المدرسة حياة مرح وسرور ونشاط، وأن يكون التعليم صحيحًا يرهف العقل ويوسّع الإدراك...».

ثم يعود، في رسالة لاحقة، إلى تبيان هدفه، وشرح رسالته فيقول: «الشرق مريض فهو بحاجة إلى من يعتني به ويعالجه ويبث فيه الحياة، البلاد تحتاج إلى دم جديد وقد عاهدت نفسي أن أبثّ فيها هذا الدم الجديد لأطهرها من أولئك الزعماء الذين هم بقايا العهد الماضي... من الأفضل أن يذهب القديم في سرعة من أن يجيء الجديد في تأخر، فإن الخطر، كل الخطر أن يتعود الشباب انتظار الفرصة طويلًا، والصبر على القديم حتى الشباب نفسه قديمًا»[40].

وقد وقف إسعاف النشاشيبي على رأس المذهب القديم في كل نواحي حياته ونشاطه الأدبي، وكان شديد العصبية للقرآن الكريم واللغة العربية والحضارة الإسلامية ورجالاتها الأقدمين، وتبدو عصبيته هذه أوضح ما تكون في خطبته المطولة: «البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي».

ويبدو النشاشيبي في كل ما كتب وألقى من خطب مفتونًا بالقدامى، ففي مقدمته لكتابه «مجموعة النشاشيبي» الذي جمع فيه أقوالًا كلها للمتقدّمين، وكان قد أعدّ منهاجًا لتدريس

الطلبة في صفوفهم المختلفة، يقول: «... واعلم يا فتى أن المتقدمين هم الأعلون وهم المتقدمون، وهم المجلّون في حلبة العلم العربي والأدب وهم الأسبقون، وإنما دأبنا في هذا الزمان أن نستهديهم وهم هداة الحائر فيهدون، ونأتم بهم الأئمة فيرشدون، ونسألهم وهم الكرام فيحسبون، ونجدوهم الجود من شنآنهم فيجودون»(41).

ونراه في التعليم يؤكد على: اختيار النصوص والتعليق عليها، ثم الطلب من التلاميذ أن يحفظوها... وعليه كان يطالب أن تكون القراءة والسماع وسيلتين من وسائله الأساسية في تعليم النشء وتثقيفه(42).

هذه الحماسة للقديم لدرجة العصبية (والنارية) واليقينية التقريرية المثيرة في الكثير من جوانبها، يمكننا تلمّس أسبابها من خلال البيئة الاجتماعية التي عاش فيها، والمنابع الأدبية التي تشرّب منها ثقافته.. هو ما جعل صوته هو الأعلى طبقة والأقوى نغمة والأشد تأثيرًا (حسب الدكتور حسام الخطيب) ويضيف: «لقد اصطنع لنفسه قضيتين مترابطتين هما: «النهوض اللغوي، والنهوض الأخلاقي»، ووجّه لهما كل نشاطه الأدبي، القولي والكتابي، وكذلك نشاطه التربوي: التعليمي التأليفي التفتيشي، لذلك كان اسمه كبيرًا جدًا في وجدان أبناء مرحلته، وبعبارة أكثر دقة كان ابن مرحلته البار»(43).

هكذا، يمكننا الاعتقاد، أن هذا الخلاف المنهجي في التعليم والتربية والمدارس، هو الذي حمل لواء منهج المذهب القديم في مواجهة المذهب الطبيعي الحديث الذي حمل لواءه خليل السكاكيني، الذي يختصره الدكتور إسحق موسى الحسيني، في كتابه «هل الأدباء بشر»؟ فيقول: «إن النشاشيبي حرص على إصلاح المنهاج، فاختار منهجًا قويًا، وعني بتحفيظ الطلاب آيات من القرآن الكريم وجنّبهم في مسائل الفقه المعقّدة، وعيّن معه صديقه خليل السكاكيني في شهر أيلول 1926م، مفتشًا آخر للغة العربية، وتخصص النشاشيبي في الإشراف على المدارس الثانوية، والسكاكيني في التفتيش على المدارس الابتدائية. وبسبب اختلاف الصديقين في النظر إلى اللغة، وفي أساليب تدريسها، وقع بينهما شقاق أخذ يتسع مع الأيام، النشاشيبي يدعو إلى الأدب القديم، ووضع نماذج بين أيدي الطلاب، وإلى العناية بقواعد اللغة عناية واسعة، والسكاكيني إلى التحرر من أساليب القدامى، وإلى التعبير الحر الأصيل، وإلى نبذ القواعد جملة، أو الاقتصار على ما يعين منها على سلامة التعبير والفهم الصحيح، ولم يكن ثمة سبيل إلى التوفيق بين المذهبين لبعد الشقة بينهما، وانصرف كل منهما في سبيله»(44).

ورافق ذلك، ظهور اختلافات نقدية بين السكاكيني والنشاشيبي في فلسطين، ظهور رائدين في لبنان هما: شكيب أرسلان وأمين الريحاني، اختلفا فيما بينهما بنفس المضامين النقدية بين الرائدين في فلسطين، فاندفع السكاكيني وأمين الريحاني يدافعان عن نهج المذهب الطبيعي الحديث في الكتابة والنقد، بينما اندفع النشاشيبي وأرسلان في التمسّك بالنهج القديم، وهكذا كان النشاشيبي يرد على الريحاني، بينما السكاكيني يرد على أرسلان، وبالعكس، في الأمور التي يتم الخلاف عليها، وبذلك ظلّ الصديقان محافظين على علاقتهما الشخصية على الرغم من اختلاف منهجيهما في الكتابة والنقد. فأسّسا مدرستين، لا بدّ من وجودهما في تلك المرحلة المبكّرة من عصر النهضة. وهكذا كتب السكاكيني كتابه «مطالعات في اللغة والأدب»[45] «والأصول في تعليم اللغة العربية»، وغيرها من الكتب والمقالات. وأضاف النشاشيبي كتاب «البستان»[46] إلى مجموعة النشاشيبي، وأصدر كتاب «كلمة في اللغة العربية»[47] «وقلب عربي وعقل أوروبي»[48] و»مجموعة: العربية وشاعرها الأكبر»، واللغة العربية والأستاذ الريحاني»، و»العربية في المدرسة»[49].

وفي ذلك كلّه، يعكس الخلاف بين المدرستين في الأمور التالية:

أولًا: اللغة في التعبير بما يتماشى مع النهضة الحديثة.

يقول السكاكيني في ذلك، «.. نصيحتي للكتّاب الناشئين أن يكونوا من أصحاب الكفايات قبل أن يكونوا من أصحاب الأقلام[50] ويقول في كتاب آخر»:

«... لم يكن هناك علم لغة أو أدب أو شعر. إذ لم يكن اللغوي لغويًا إلا على قدر ما يعي في صدره من ألفاظ اللغة وغرائبها وشواردها. فكان أشبه بالحفّاظ والرواة منه بالعلماء... ولم يكن الأديب أديبًا إلا على قدر ما كان يُغير على ألفاظ المتقدّمين فيسردها سردًا ويكيلها جزافًا. فكان أبرعهم في الأدب من إذا كتب في موضوع نسخ كل كلمة فيه من كلام متقدمي الأدباء والكتّاب، ولو سلخ في تفقد اللفظة والتفتيش عنها من مظانّها الأسبوع والأسبوعين..؛ بل كان من الأدباء ولا يزال منهم إلى اليوم من إذا أراد أن يستعمل كلمة بحث عن عمرها فإذا لم يربُ على ألفي سنة أو ألفٍ على الأقل فلا يستعملها؛ بل كان منهم ولا يزال كثيرون إلى اليوم من إذا جاء بكلمة أتبعها بمرادفاتها على غير اقتضاء ولا مناسبة، تبجحًا بكثرة محفوظه وسعة معرفته..

إن الأديب كان أشبه بالناسخ، بل الماسخ منه بالأديب..»[51].

ويقول في موضع آخر من الكتاب نفسه: «نحن في عصر تغلبت فيه روح الاقتصاد، فإذا لم يراع الكاتب الاقتصاد فيما يكتبه، في وقته ووقت القارئ، لم يجد من يقرؤه... إذا لم يرتكز الأدب فيه على العلم فلا قيمة له»[52].

ثم يقول في موضع ثالث من الكتاب نفسه: «إن الناس كانوا يميلون إلى التكلّف في الكتابة، فصاروا يميلون إلى الأساليب الطبيعية فيها. كما كانوا يتكلّفون في كل شيء، فصاروا طبيعيين في كل شيء. التطوّر ناموس عام... فما من عنصر من عناصر الحياة إلا خاضع له رضينا أم كرهنا. ومن لا يؤمن بهذا الناموس فقد جهل كثيرًا، واللغة خاضعة لهذا الناموس، وأنه ما من سبيل لإخراجها عن حكمه. إنّ الناس صاروا يميلون في كل مظاهر الحياة إلى الأساليب الطبيعية، وليس شيء أثقل على الروح في هذا العصر من التكلّف.

فالأسلوب الطبيعي للكتابة أن يكتب الإنسان كما يفكر، وكما يتحدث، فمن حاول أن يكتب ما لا يفكر فيه أو يتحدث فلم يحاول أن يكتب ما لا يفكر فيه أو يتحدث به، هو أو غيره، وما لا يلائم الحياة في شيء فقد تكلّف. قد يكون تفكيره أو حديثه شيئًا وما يكتبه شيئًا آخر... قد يترجم حديثه نفسه وأما كتابته فلا... إذا أراد الكاتب من أصحاب المذهب القديم أن يكتب فلا يستوحي عقله أو قلبه، ولا يستعمل من الألفاظ ما يؤدي مراده ويناسب المقام ويفهمه الناس، ولكنه يستوحي القدماء، يفتش عمّا قالوه في موضوعه، في كل مظنّه، فيستعير معانيهم وألفاظهم ويدّعيها لنفسه. لا تقرأ شيئًا لهؤلاء الكتّاب إلا أحسست أن كل لفظة فيه ليست لهم. كان القدماء يستحسنون (التضمين)... و(الاستعانة)... و(الإيداع)... و(الاقتباس).. و(التلميح)... و(العقد)[53] ويقول:

«وأما اليوم فإن أصحاب المذهب الجديد لايميلون إلى شيء من هذا، فإنّك لا تجد فيما يكتبونه آية أو حديثًا أو مثلًا أو شطرًا أو جملة من بيت؛ بل لا تجد كلمة ليست لهم أو لا يعنونها[54].

وبنفس الاتجاه يرد النشاشيبي على أمين الريحاني، فيقول:

«... وجدت الأستاذ االريحاني يعيب في مقاله التقليد والإعراب، ويهجّن (اصطلاحات واستعارات يشغف بها المقلّدون) ويعدّ الإنشاء فنًا - والتجاوز في الكلف بالفن خسران واللغة ذريعة - واتخاذ الذريعة غاية ضلال - ويرى أننا محتاجون جد محتاجين إلى الذي هو أنفع إلى العلم الغربي الحق، فلا يجوز أن يشغلنا الكلام المزوّق عنه، أجل إن في هذا العصر

من يقلّد المتقدمين، ومن يشمله اللفظ الغريب، ومن يستجيد الاستعارات ويستعملها، فتظلم فيها معانيه، ولكني (والحمد لله) لست كأحد منهم فما أنا بالمقلّد أديبًا قديمًا أو حديثًا؛ بل ممن ينعى على ذي التقليد تقليده»[55]. ويقول:

«وقد ألاقي الكاتب العظيم من المتقدّمين فلا يسيطر علي، ولا أمشي وراءه، وله قوته وطريقته ولي ضعفي، وطريقتي، وقد يكون متقدّمٌ بعد التحقيق ضعيفًا متأخرًا... وقد تكون طريقته مضلّة، فلست إذًا مقلدًا في القول أحدًا، وإنما هي ألفاظ عربية مضرية عرفتها، وأسلوب عربي مبين عقلته، وملكة جاءت، ثمّ كلام هو ذوب روحي وابن نفسي وخليقتي وطريقتي، وفي الخلق شدّة وفي النفس قوة، وفيها وضوح ظاهرها كباطنها وباطنها كظاهرها»[56]. ويضيف:

«فأنا أشنأ التزويق في الكلام وأشنأ هذه الاستعارات المخسرات، وأبغض بديع الجماعة فلا أعرج إلا على القول المبين ولا يجيء إلا الجملة البيّنة. وكرهي الغريب الذي ذمّوه ككرهي الاستعارة الممقوتة. وما هذه الألفاظ التي يطلبها مكانها ويحسبها بعض الناس غريبة (وما هي غريبة ولا تشبه الغريب)، إلا ألفاظ مضرية لا حميرية ولا يمانية، وليست من ألفاظ حضرموت أو الشحر فلا تذمنها (يا أخا العرب) ولا تنكر منها ولا ترينّها غريبة، واعرضها على السمع لا يمجّها، وحرك اللسان فهو لا يستثقلها، وما غرب مثلها إلّا تقهقر أمة، القارئ في بدوها وحضرها في الألف واحد. ولو كان لها حال كحال الأمم ما أنكرت معروفًا ولا استغربت غير غريب»[57].

هذه خلاصة لأصول هذا الاتجاه وخواصه، وقد كان حامل لواء هذا المسرب الأستاذ إسعاف النشاشيبي، ومن هنا، كانت حرارة الدفاع عن هذا المتّجه صادرة عنه... والحق يقال إن الأستاذ النشاشيبي كان بريئًا من التقليد. إنّه ورد تلك الينابيع العذبة الصافية وفتن بها وجعلها أساسًا ثابتًا قويًا لمبانيه الشامخة... وإنما هو علم كبير يُعدّ في طليعتهم، يجلس إلى جانبه بديع الزمان أو غيره. من الأعلام الكبار، فلا يتزحزح عن مكانته... إنّ فيه تلك الضخامة التي ورثناها عن الجاهلية وصدر الإسلام.. والمتانة التي انحدرت إلينا منهم بغير شوائب تشوبها. ولكلامه وقع في أعماق القلوب، ومستقر ثابت مكين في النفوس.. لا تحس فيه صناعة مجلوبة ولا حليّة مغصوبة ولا ركاكة ولا عوج..»[58].

ثانيًا: المقابلة بين الشرق والغرب في المدرستين.

هذه المقابلة بين المدرستين قد تطوّرت بحكم ظروف الحياة التي ألمت بها، وأخذت مضامين جديدة، من بينها، أن الناس قد دهشوا أمام الغرب الذي يصنع المدنية وأخذوا يتلمسون موطئ أقدامهم، وكان الكتّاب من بينهم، وكانت أيضًا، دافعًا في تطوّر مضامين بين المدرستين. وحين سئل خليل السكاكيني: أيهما أسعد الغرب أم الشرق، والمقابلة بينهما، أجاب:

«نعم لست من أولئك المتشائمين وإن كثر عددهم، وكذلك لست من أهل الخيال الذين يهيمون في كل واد ويتصورون المستقبل، لا كما يجب أن يكون. التشاؤم مرض في الدماغ والإغراق في الخيال ضرب من الجنون... ولكني ممن يعتقدون بمذهب النشوء والارتقاء، وأنه لا يصح إلّا الصحيح، ولا يبقى إلّا الأنسب رضينا أو لم نرضَ...»(59). ويضيف: «فإذا جاز لي أن أقول كلمتي في هذا الموضوع فإني أرى أن الشرق أسعد حالًا من الغرب... الفضل في كل ما نراه من مظاهر تمدّن أوروبا وترقيتها راجع أكثره إلى وسائط لا إلى مبادئ... وسائط تمنعهم من الإخلال بالأمن، وتمنعهم من أن يخرجوا عن العدل وتجبرهم على التعليم»(60).

وقد ذكر السكاكيني، أن هذه القناعة مصدرها «ما رآه من سفره إلى أوروبا وأميركا والمعيشة فيهما والاختلاط بالناس من مختلف الطبقات»(61).

وهكذا آمنت مدرسة السكاكيني النثرية بمذهب النشوء والارتقاء، وبناموس التطوّر، وبما يتبع الإيمان بهما من قيم التفاؤل، ونبذ الأوهام والخيالات وجنوح الواقع ومزج بين الحس والفكر.

وفي جانب آخر، آمنت كذلك مدرسة النشاشيبي بهذا المذهب، فنراه يقول:

«فالعربي الذي يُكرّه إلينا المدنية الغربية، ويثلّب علمها ونظامها، ويسخر من روّادها لا يروم كي وحياتكم – أن نجافي هذا الوجود أو أن نسود؛ بل يريد أن نبدأ أو أن نعود في الناس مثل العبيد... ثم يدعو إلى أن تحمل هامة العربي (عقلًا أوروبيًا) كما يقلّ صدره (قلبًا عربيًا). والنشاشيبي، منذ نهاية الحرب الكبرى الأولى، منصرف إلى التعليم ونشر رسالته في حب العرب والعربية بصوت عربي فصيح، وجرأة كانت على خصوم العربية كحد السكين(62).

ويقول في مقالة أخرى:

«عكف الآباء على علوم يونان عكوف الصوفي على أحزابه وأوراده، وطفقوا ينقلون إلى هذه اللغة ما ينقلون ويشرحون ويلخّصون، ويهذّبون، وينتقدون وقد تيمتهم ما اشتملت عليه من الآراء البارعة الباهرة، والمباحث الرائعة الساحرة، وأخلق بعاشق العلم أن يستهويه العلم. ولم يمقت الآباء آراء أفلاطون وأرسطو مقت الأبناء أقوال داروين وسبنسر وهيجل، ولم يعرض السلف عن الخير في ذلك الزمن أعراض الخلف؛ بل الخلف الخالف عنه في هذا العصر[63].

ويضيف: «ولم يتولهم الإعجاب بأدبهم العربي فيصدهم عن الكلف بالعلم الإغريقي...

جفوا رسول الجهل ومقتوه، ولم يأبوا إلّا الذي هم محققون بأن يأتوه. والعلم الحق لن يلقاه في هذا العصر ناشده ولن يجده رائده إلّا في الإقليم الإفرنجي، فإن أهل هذا الإقليم قد هجروا الكرى منذ قرون والمشارقة هاجدون، وأقبلوا يفكرون ويحققون. حتى جاء «باكون» رب الطريقة الاختيارية في الفلسفة، و«نيوتن» الذي هدى العلماء بجاذبيته إلى ما هداهم إليه... و«سبنسر» البحاثة الاجتماعي وواضع فلسفة النشوء والمنعوت عقله بجبار العقول و«داروين» صاحب المذهب الذي ورد على كل ناد وولج كل بيت، وشرّق وغرّب وأقعد الإنسان في مقعده، وجاء البخار والكهرباء والصحيح من علمي الطبيعة والكيمياء... وجاء علم الإنسان وعلم الحياة.. وجاء الأستاذ (أرنست هيجل) الذي أدرك ما لم يعلم، والذي بثّ مذهب النشوء في ألمانيا وصارع خصومه فصرعهم، والذي قال بالوحدة، وكان رسول هذه النحلة إلى الناس»[64].

ثالثًا: السكاكيني والنشاشيبي مدرستان في حياة النقد

يمثّل السكاكيني حالة فريدة في ثنائية النقد الساخط والتفاؤل، فقد أخضع الظواهر كلّها إلى نقد شديد متواتر، لا مساومة فيه ولا ارتباك، واحتفظ داخله بأقساط من التفاؤل القلق، لا يتلاشى حتى في أكثر الأزمنة ضيقًا، ويعود هذا، بداهة، إلى «فلسفته الذاتية» التي تقول «إن على الإنسان أن يستمر في الحياة طالما أنه مستمر في خدمة أهله وخدمة الآخرين»[65] بيد أن التفاؤل لا يمنعه أن يكتب في يومياته عن وجوه السلب المختلفة في المجتمع الفلسطيني، فيقول: «عن تهافت الكثيرين على إرسال أولادهم إلى بلاد الإنكليز في طلب العلم، ولكن يخيّل إليّ، وأرجو أن أكون مخطئًا، أنهم لا يرسلون أولادهم إلى بلاد الإنكليز إلا طمعًا في أن ينالوا بعد رجوعهم منها الوظائف العالية، لا قيمة للعلم ولا للثقافة عندهم إلّا على قدر ما ينالون من الوظائف، فلولا الوظائف لما فكروا في إرسال أولادهم إلى المدارس العالية»[66].

ويضيف: «ما قيمة الإنسان إذا لم يكن على جانب من العلم والثقافة؟ بل أعتقد أن الإنسان لا يكون إنسانًا إلّا إذا كان مثقفًا ولو اضطر أن يكون سواقًا أو كناسًا»(67).

وفي مذكراته بتاريخ 7/ 1/ 1933م، يعتبر أن الثقافة هي معنى الحق والقوة اتكاء على منظور متحرر من القدرية الساذجة والبلاغة الموروثة والأوهام اللاهوتية المخدّرة، لم يكن السكاكيني، في ملاحظته، يشرح «فلسفته الذاتية» بقدر ما كان يواجه الوعي المتخلّف بوعي منفتح على الواقع والعالم وطبيعة العدو الصهيوني(68):

«القوة القوة هذا هو التعليم الجديد الذي يجب أن نشربه، من الناس من يقول إن للحق قوة، ومنهم من يقول إن للقوة حقًّا، وإذا تأمّلنا قليلًا، رأينا أن الحق يجب أن يكون للقوة، بمعنى أن القوي في جسمه وعقله ونفسه أحق من الضعيف في جسمه وعقله ونفسه بالوجود. الأقوياء هم الذين يرثون الأرض، حق القوي حق مريح ثابت يستند على عقل صحيح وجسد صحيح ومبدأ صحيح. وأما حق الضعيف فهو حق مزعوم باطل يستند على عقل ضعيف ومبادئ منحطة وشعور مختل وجسد مستقيم..»(69).

وإذا كان السكاكيني قادرًا على النفاذ إلى الجوهر الصهيوني، لأنه لا يعرف «الشعور المختل»، وقادرًا على تحليل حسابات الضعفاء، لأنه يملك عقلًا صحيحًا، فقد كان واعيًا بدور السيطرة الاستعمارية الإنكليزية، التي كانت تقمع التمرّد الفلسطيني بعنف وبلا هوادة، وتواجه العدوان الصهيوني بلين وتباطؤ وتساهل، كما جاء في كثير من يومياته، كأن يقول:

«وإذا كنا ننعي على الترك ظلمهم وانحطاطهم واستبدادهم فقد رأينا من الإنكليز، من هذه الأمة الراقية، التي أنجبت كبار الفضلاء والعلماء والأدباء والشعراء، ما لا يذكر بجانبه ظلم الأتراك وانحطاطهم واستبدادهم، فكان شأننا شأن المستجير من الرمضاء بالنار... ما أشبه الإنكليز في فلسطين اليوم بالرومانيين في عهد المسيح فيها، سلّموا المسيح لليهود فأخذ هؤلاء يصبون عليه نقمتهم..»(70).

يضاف إلى هذا التصور، الذي يرى الحداثة الاجتماعية ولا يرى أسبابها، تصور رومانسي للثقافة، مؤمن بالفرد الطليق الذي يحرر المجموع المكبّل، ومؤمن أكثر أن «الثقافة في ذاتها» ارتقاء، كما لو كانت الثقافة لا علاقة لها بالمصالح والأهواء والطبقات الاجتماعية. وهذا ما جعله ينظر بغضب ومقت واحتقار إلى «حملة الشهادات العليا»، الذين يحلمون بوظيفة تقربهم من السلطة وتمدّهم بامتياز اجتماعي، علمًا أن «المعرفة»، في المجتمعات الفلاحية

جميعها، كانت ولا تزال أداة موائمة تجسّر المسافة بين «المتعلّم» و«المتسلّط» وتحوّل لزومًا، «المتعلم» إلى «متسلط» جديد»[71].

يصدر نبل خليل السكاكيني ومأساته عن إيمانه العميق «بالمثقف الراقي»، وذلك في مجتمع عضوي، مأخوذ بالعائلة والطائفة، لا يلتفت ولا يقبل به ولا يعترف بدوره، لأنه يرى في المثقف مساسًا بالتقليد المتوارث القديم وتعريضًا به. وهذا ما يفرض على «المثقف الراقي» في حال وجوده، إما الانسحاب من المجتمع والاكتفاء بالعزلة، أو الاندراج في تصورات المجتمع ومعاييره، التي تصيّر المثقف الحديث «كاتبًا سلطويًا قديمًا»[72].

بهذه القيم النقدية، وهذا المنهج الجديد شق السكاكيني طريقه في حياة النقد، وكان موقفه واضحًا بيّنًا وميزانه دقيقًا سليمًا.. تستطيع أن تحكم على ضوء هذه المقاييس ما يكون موضع رضاه من الآثار وما يكون موضع سخطه[73].

فحين جاءته دعوة من لجنة إحياء ذكرى أحمد شوقي في مصر... وطلبت أن يقول كلمة... قرر أن يعتذر، أولًا لأن الداعين إلى الحفلة حكوميون يقصدون من إحياء ذكرى شوقي معارضة خصومهم الوفديين الذين لأمر ما يؤثرون حافظ إبراهيم عليه، كأنهم إذا اختلفوا في السياسة لم يكن بد من أن يختلفوا في الأدب وغير الأدب، وهذا عجيب. «ومعاذ الله أن يشترك في حفلة ليس القصد فيها خدمة الأدب؛ بل خدمة أغراض سياسية، وقضاء شهوات وحزازات تبعثها الخصومة في السياسة، ثانيًا لأن له قياسًا للشعر إذا قاس به شوقي كانت كفّته مرجحة، ولم يبق له من هذه المزايا الشعرية التي يدعونها له وينحلونه إياها إلا الشيء القليل الذي لا يغني ولا يسمن، على حين أنهم ينتظرون إذا حضر حفلتهم أن يجاريهم في دعواهم فيكيل المدح كيلًا. تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا»[74].

«ولم نرض عن الأخطل لأنه قبل أن يبيع ضميره ولسانه فهو مثل كثيرين من أصحاب الصحف والأقلام والألسنة في هذا العصر الذين يشتغلون بنشر دعوة دون أخرى مأجورين، فلو كان الأخطل في هذا العصر لوضع لسانه في سوق المزاد... لذلك نادينا بأعلى أصواتنا: ليسقط الأخطل»[75].

وحين يتحدث عن الشاعر الشعبي (أبو دياب)... ويجد قيمه متخاذلة منقرضة رجعية، لا يرضى عن تلك القيم، ولكنه يرضى عن الشاعر لأنه مبتكر وليس من المقلّدين، فهو يصدر عن نفس صادقة في كل ما يقول، ولهذا كان موضع تقدير

الأستاذ السكاكيني لأصالته، بينما لم يرض عن قيمه»[76].

ومن هنا كان إعجابه بإبراهيم طوقان شاعرًا لأنه لم يعرف التقليد، فكل لفظة وكل معنى من خلقه هو، ومن ممتلكاته هو لا تجد وجهًا آخر يختفي وراءه غير وجه إبراهيم[77] والأستاذ السكاكيني من أوائل الذين حملوا على نظرية (النقد بالذوق الموهوب) حين عرض لنقد الدكتور طه حسين لقصيدة حافظ إبراهيم في الدستور سنة 1923م، فيقول: أجل، الأستاذ على أن يحيلنا في إدراك ذلك الجمال وتلك الروعة على الذوق، فإننا نعتقد أن هناك أصولًا للجمال وشروطًا لروعة الفن.[78]

تلك كانت قيم خليل السكاكيني النقدية، وطريقته في تطبيق تلك القيم، ونزاهته وأمانته في التطبيق، وثقته بنفسه وبمقاييسه[79].

يقول الدكتور إسحق موسى الحسيني: «ولقد دخل السكاكيني في مجالات ومجاذبات مع أصحاب الرأي الفني داخل فلسطين وخارجها، عمّقت من قناعاته، وحصّنت آراءه، وبلورت أفكاره، وكان من ثمراتها كتابه «مطالعات في اللغة والأدب» خرج فيه عن المألوف المتحجّر والجمود المعوّق، وكان أثر الاجتهاد فيه واضحًا ومثلًا قويًا على قدرة السكاكيني في البحث والمحاضرة، وهو في محاضرته اللغوية يجري بها على ناموس النشوء والارتقاء»[80].

نشير في هذا المجال، إلى أن نقاطًا كثيرة، ومواضيع متعددة طرحها السكاكيني في كتابه، الذي يعد أول كتاب يطرح موضوع الجمود والتكلّف حتى ذلك العهد، إلّا أنه يمكننا أن نستخلص خصائص الأسلوب الجديد الذي يدعو إليه من خلال ما اقتطفناه من فقرات بالخصائص التالية[81]:

1. المحل الأول للمعنى فهو الغاية. والثاني للفظ فهو وسيلة.

2. مواكبة العلم وتطور الحياة وروح العصر هما المعايير الأساسية لتطور اللغة والأدب.

3. الأسلوب الطبيعي للكتّاب، أن يكتب الإنسان كما يفكر وكما يتحدث، وليس كما فكّر ويفكّر الآخرون، وإلّا كان تقليدًا.

4. تجنب التطويل والتكرار واستخدام المترادفات، بل النزوع إلى الإيجاز والاختصار.

5. الكتابة للعامة لا للخاصة، بعد أن حلّت الديمقراطية محل الأرستقراطية في مختلف مناحي الحياة.

6. تجنب الاستعارات والتعبيرات الخيالية.. واستخدام الألفاظ المحددة الدلالات الواضحة المعنى.

ويصف الدكتور ناصر الدين الأسد هذا الأسلوب الجديد وحماسة السكاكيني في دعوته إليه: "وإذا ما نظرنا إلى حماسة السكاكيني في دعوته إلى هجر ذلك الأسلوب القديم واتباع الأسلوب الحديث على ضوء ما كان شائعًا في عصره من أساليب الكتابة – كان لا بد لنا أن نقدر دعوته قدرها، وأن نجد فيها خيرًا كثيرًا يعود على الكتابة وأساليبها ويزداد تقديرنا للسكاكيني ودعوته حين نعدها وسيلة من وسائل التربية والتعليم كان يأخذ بها تلاميذه وينشئهم عليها حتى يعتادوا الدقة في التعبير والتفكير، والتوفيق بينهما توفيقًا طبيعيًا لا تصنّع فيه(82).

ونشير أيضًا إلى أنه نشر مقالًا حول «تطور الصحافة» في جريدة السياسة بتاريخ 22 آب/ أغسطس 1932م، نشرها في كتابه «مطالعات في اللغة والأدب» تحدّث عن عناية الصحافة بالعلم والأدب، ومما يقول فيها:

«إنّ صحافة كل أمة تابعة لها، لا تجد صحافة راقية في أمة منحطّة، ولا تجد صحافة منحطّة في أمة راقية، ومن قابل صحافة اليوم لما كانت عليه إلى عهد قريب، رأى أنها دبّت فيها الحياة، وأخذت تترقى يومًا فيومًا تبعًا لنهوض الأمة وتطورها».

ويضيف: «جعلت الصحافة تعنى بالعلم والأدب عنايتها بالسياسة فكانت السياسة سببًا لترويج العلم والأدب، وكان العلم والأدب سببًا لترويج السياسة، فهي أول وهما المحل الثاني، أو هما أول وهي المحل الثاني».

ويضيف أيضًا: «ولا بد أن يقل عدد المتطفلين على الكتابة بعد اليوم، ولا بدّ أن يرتقي ذوق القراء فلا تقرأ جريدة لا يشترك في كتابتها صاحب كفاية... لن يكتب بعد اليوم في السياسة إلّا الاختصاصي في السياسة، ولن تكتب في الأدب إلّا الاختصاصي في الأدب، ولن يكتب في العلم إلّا الاختصاصي في فرع من فروعه، ولن يكون صاحب كفاية إلا مقدورًا قدرة»(83).

بهذه القيم والمعايير الأدبية النقدية واجه السكاكيني القيم والمعايير التي كانت سائدة في النقد الأدبي والفكري والسياسي، برزت بجلاء في محاورته مع الأمير شكيب أرسلان، وهو – في حد ذاته موقفه من دعوات إسعاف النشاشيبي الذي يدافع عن اللغة العربية في أصولها

وجذورهـا، فيقول: «فقد آثرت الطبيعة قطين منها في الريح باللغة العربية كما آثرت غيرهم مـن الأمم بغيرهـا، ولكن هذه اللغة لم تكن في أول يوم أنيقة مجوّدة كما حملها إلينا (الكتاب) المعجز وقصائد شعرائها فقد كانت مثل شـقائقها، فشـذ بها الدهـر، وصقلها حتى عادت كالرذيلة المشـوّفة، وهذا صنع (الانتخـاب الطبيعي)»[84]. وفي غضون ذلك يؤكد: «وكادت شيعة البديع تقوّض من أجل النكتة البديعية قواعد العربية تقويضًا»[85].

ويلقـي نظـرة إلى أصحاب المذهب الجديد فيقول: فماذا يرى اليوم المتسـمون بالمتجددين أو المجددين وفي أي سـبيل يهوون المسير؟ أيرون أن ننقلب إلى القديم فيجود القول ويستقيم. وتوقـى الوحـدة العربية بصون الأسـاليب العربية وتترجـل الأمة وتتفحّل مـن بعد خنثها وتأنّثها، باسـتظهار الكلام الفحل الجزل، ويتهذّب ذوقها، بمؤالفة الأقوال المهذبة المنتقاة، وتكـون هـذه الأمم العربية في الوجود شـيئًا مذكورًا. أيرون هـذا أم يضادوننا فيذهبون إلى غير هذا المذهب الهدوي وينبري لنا مدارهم قائلين، إن الزمان ليضيق عن الإحاطة بالعربية والتوغّل في آدابها، وإن سـنة ارتقاء اللغات تخالف شريعة المتمسـكين بالقديم، وأن المعوّل عليه هو المعنى ليس اللفظ، وما أمر اللفظ عند العلماء بذي بال»[86].

وعـلى الرغـم من أنه يوجّه انتقـاده في مقالته إلى أمين الريحـاني، إلا أن المقصود هو الرّد على السـكاكيني كما أسـلفنا. فنراه يؤكد: «وأقاويلهم هـذه (يا أخا العـرب) أضاليل وأباطيل، والباطل مضمحلّ فلا تغرّنك جولته. وللحق الحكم في كل حين فاسمع حكمه»[87].

ويتنـاول حجج هؤلاء المجدّدين، ومما أشـار إليه الردّ عـلى أولوية المعنى فيقول: وأما قولهم «إن المعـوّل عليـه هـو المعنـى لا اللفظ، وإن الثـاني ليس بذي بـال، فهو قـول أملاه الخبث والعجـز والجهـل»[88] ثم يعلن بعد ذلك كلّه: «وإن انبرى زنيـم في العلم فقال: إن الأمة لا تفقـه القـول إن اتصف بما يبغيـه منا، وإن المعاني لتعمى عليها، أجبنـاه إن كنت تعني بالأمة جهالهـا فهـؤلاء لا يعبأ بهم عاقل، وهؤلاء لا يبالون أصح القول أم سـقم. والجاهل خارج عن الدائرة لا يجري عليه حكم ولا يعدّ في الناس»[89]. لكنه يعترف بأن لكل دهر لغة، وأن لطبيعة العصر سلطانًا، ولكنه أيضًا يتخذ أزهى العصور مثالًا يهتدي بهديه فيقول: «إننا كلما ابتعدنـا عـن زمان القرآن ابتعدنا عـن جمال تلك اللغة المضرية العربية»[90]. ويورد إسـعاف النشاشـيبي أمثلـة متعددّة على الاختـلاف في الأدب ويبيّن وجوه اختلافهـا على ذلك بأدلة علميـة عقليـة وفنية آمن بها، وبينه وبين خليل السـكاكيني قدر كبير مشـترك جعل أحدهما يقـدر الآخـر، يرضى عن أصالته لمذهبه ومعاييره، فحرص النشاشـيبي عـلى عدم التكلّف،

وعلى التأنق الأصيل في الكتابة، وعلى قبول مبدأ الشعر في اللغة، وسخطه على الضعف والركاكة، وطلبه للأدب الذي يبعث القوة في النفوس حتى تترجل الأمة وتتفحل من بعد خنثها وتأنثها، كل ذلك جعل الاثنين، السكاكيني والنشاشيبي، راضين عن بعضهما ومتلازمين بحب بعضهما الآخر، ومضى كل منهما في معاييره وقيمتها النقدية، واقفًا أصيلًا شامخًا لإلى جانب مذهبه بقيمه ومعاييره.

ويبدو لنا، أن همّ الأديب والشاعر العربيين أن يحدّدا مقوّمات القيمة، وكذلك كان الاهتمام بالمعايير من أهم ما يدور في الصراعات النقدية والأدبية في تلك المرحلة، والأمثلة على ذلك لا تحصى في تاريخ النقد الأدبي، خاصة إذا انتقلنا إلى ما يمكن تسميته (عصر النهضة العربية) الذي بدأ فيه صراع القيمة والمعيار في الدول العربية التي تكافح ضد الاستعمار، وما قدّمناه جزء من ذلك الصراع في فلسطين، وتطوّر إلى أن أصبح الصراع الأيديولوجي هو المهم، وكذلك الصراع الفني والبنيوي في النصف الثاني من القرن العشرين.

الهوامش

1. أحمد سامح الخالدي: الإعلام بفضائل الشام، القدس 1946م، ص 13 – 14.

2. محمد رفيق التميمي: ولاية بيروت – القسم الجنوبي، بيروت 1335هـ، ص 62.

3. "النفائس العصرية" جزء 4 مجلد 2، 1910، ص 242 – 244. نقلًا عن: الدكتور عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني الحديث (من أول النهضة – حتى النكبة)، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله 2001م، ص 41.

4. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 57.

5. بشار دوماني: إعادة اكتشاف فلسطين – أهالي جبل نابلس، 1700 – 1900، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، رام الله 2011م، ص 14.

6. وصفي البنّي: حول القضية الفلسطينية (مقال)، مجلة "الطريق" مجلده، جزء 17، ص 4 – 5.

7. حسيب نمر: قضية فلسطين (مقال) مجلة "الطريق" مجلد 6، جزء 7، ص 41 – 49.

8. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 60 – 61.

9. راجع في هذا المجال: د.عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، الصفحات 62 – 118؛ د.محمد شحادة عليان: الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان 1987م، الصفحات 21 – 28؛ د.كامل السوافيري: الأدب الفلسطيني المعاصر في فلسطين دار المعارف 1979م، الصفحات 30 – 60؛ د.عبد الرحمن الكيالي: الشعر العربي الحديث في نكبة فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1975م، الصفحات 43 – 51؛ د.قسطندي شوملي: الاتجاهات الأدبية والنقدية في فلسطين: دار العودة، القدس 1990م، الصفحات 1 – 38؛ جهاد أحمد صالح: التشكيل الروحي والبيئة الثقافية في القدس، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، رام الله 2010م، الصفحات 47 – 113.

10. من مؤلفات الأستاذ خليل السكاكيني:

- "الاحتذاء بحذاء الغير"، القدس 1896م.
- "النهضة الأرثوذكسية في فلسطين"، القدس 1913م.
- "فلسطين بعد الحرب الكبرى"، القدس 1920م.
- "الجديد – بأجزائه الأربعة"، القدس 1924 – 1933م.
- "مطالعات في اللغة والأدب"، القدس 1920م.
- "سرى"، القدس 1935م.

- "الدليل – جزءان – القدس، 1934، 1936م، ثم جمعها في كتاب واحد عنوانه "الأصول" في تعليم اللغة العربية، القاهرة 1952م.
- "حاشية على تقرير لجنة النظر في تيسير قواعد اللغة"، القدس 1938م.
- "لذكراك"، القدس سنة 1940م.
- "ماتيسر" جزءان – ، القدس 1943، 1946م.
- "وعليه قس"، القدس 1943م.
- "معالم التاريخ القديم" القدس، – بالاشتراك مع وصفي عنبتاوي وأحمد خليفة.
- "كذا أنا يا دنيا"، يوميات خليل السكاكيني، القدس 1955م.

11. من مؤلفات الأستاذ إسعاف النشاشيبي:

- كلمة موجزة في سير العلم وسيرتنا معه، القدس 1916م.
- مجموعة النشاشيبي، القاهرة 1923م.
- قلب عربي وعقل أوروبي، القدس 1924م.
- البستان، مصر 1924 ثم 1927م.
- كلمة في اللغة العربية، القدس 1925م.
- مجموعة: العربية وشاعرها الأكبر، العربية والأستاذ الريحاني، العربية في المدرسة، مصر 1928م.
- البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي، القدس 1932م.
- مقام إبراهيم، القدس 1931م.
- الإسلام الصحيح، القدس 1936م.
- نقل الأديب، بيروت 1956م.
- أمثال أبي تمام الطائي – نشرها في النفائس العصرية.
- أمالي النشاشيبي.. (مخطوط).
- الأمة العربية.
- حماسة النشاشيبي.
- جنة عدن (الأرقام 14 – 15 – 16) لا يعرف ماذا فعل بها الزمان.

12. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا: سلسلة إحياء التراث الثقافي الفلسطيني (8) الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين – الأمانة العامة – بيروت 1982م، (ص 382).

13. المصدر نفسه.

14. المصدر نفسه: ص 182 – 183.

15. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 164.

16. المصدر نفسه.

17. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا: القصيدة "إلى سلطانة" وهي من تسعة أبيات، قالها في 1907/ 10/ 3 ص3.

18. المصدر نفسه: ص 30 – 31، وهي قصيدة من عشرة أبيات كتبها في 1908/ 7/ 11م.

19. إسحق موسى الحسيني: هل الأدباء بشر، بيروت 1950م، ص 74 – 75.

20. إسعاف النشاشيبي: قصيدة "في ذكرى فتاة مكدونيا"، من ثلاثة وثلاثين بيتًا من الشعر، نشرها في مجلة النفائس العصرية – الجزء الأول – تشرين الثاني 1909 – المجلد الثاني ص 50 – 52.

21. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا، المصدر السابق، ص 115.

22. د.عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 221.

23. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا، المصدر السابق، ص 303.

24. المصدر نفسه: ص 305 – 306.

25. المصدر نفسه: ص 307 – 308.

26. المصدر نفسه: ص 309 – 310.

27. د.عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 222.

28. إسعاف النشاشيبي: البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي، بيروت 1956، انظر الصفحات 69 – 71.

29. فيصل دراج: مقدمته في الجزء الأول من "يوميات خليل السكاكيني – يوميات، رسائل – تأملات 1907 – 1912م، إصدار مركز خليل السكاكيني الثقافي، ومؤسسة الدراسات المقدسية، رام الله 2003م، ص 12.

30. المصدر نفسه.

31. جهاد أحمد صالح: مصدر سبق الإشارة إليه، انظر الصفحات: 18 – 21.

32. إسعاف النشاشيبي: الإسلام الصحيح، القدس 1936م.

33. المصدر نفسه: المقدمة ص 4.

34. المصدر نفسه: ص 8.

35. حول موضوع "الطبقات في الإسلام" راجع: الإسلام الصحيح، الصفحات 260 – 272.

36. د.عبد الرحمن ياغي: مصدر سابق، ص 392.

37. عجاج نويهض: الريحاني – وإسعاف والثعالبي"، مجلة القلم الجديد، السنة الأولى عام 1952م، الصفحات 19 – 20.

38. جهاد أحمد صالح: المصدر السابق، ص 50.

39. انظر في هذا المجال:

- خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا (المدرسة الدستورية) المصدر السابق، ص 51 – 52.
- خليل السكاكيني: يوميات: الكتاب الأول 1907 – 1912، ص 347 – 348.
- فيصل دراج: مقدمة الكتاب الأول ليوميات السكاكيني، مصدر سابق ص 21.
- جهاد أحمد صالح: خليل السكاكيني، مصدر سبق الإشارة إليه، ص 40 – 50.

40. فيصل دراج: المصدر السابق، ص 20 – 21.

41. إسعاف النشاشيبي: مجموعة النشاشيبي (مقدمة الكتاب الأول) مصر 1925م، ص7.

42. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق.

43. د. حسام الخطيب: النقد الأدبي الفلسطيني الحديث (1900 – 1985) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الجزء الرابع.

44. د. إسحق موسى الحسيني: هل الأدباء بشر؟ انظر الصفحات 60 – 61.

45. خليل السكاكيني: مطالعات في اللغة والأدب، القدس 1925م.

46. إسعاف النشاشيبي: البستان مصر 1927م.

47. إسعاف النشاشيبي: كلمة في اللغة العربية، القدس 1955م.

48. إسعاف النشاشيبي: قلب عربي وعقل أوروبي، القدس 1342هـ (1924م).

49. إسعاف النشاشيبي: مجموعة: العربية وشاعرها الأكبر، اللغة العربية والأستاذ الريحاني، العربية في المدرسة مصر 1928م.

50. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا، ص 370.

51. خليل السكاكيني: مطالعات في اللغة والأدب ص 87.

52. المصدر نفسه: ص 99.

53. المصدر نفسه: ص 169.

54. المصدر نفسه: 176.

55. إسعاف النشاشيبي: اللغة العربية والأستاذ الريحاني، في المجاميع الثلاثة، ص33.

56. المصدر نفسه: ص35.

57. المصدر نفسه: ص37.

58. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص353.

59. خليل السكاكيني: كيف كنا وماذا صرنا؟ في ندوة نشرت في مجلة "النفائس" السنة 7، الجزء 18 سنة 1920م، الصفحات 264 – 267.

60. المصدر نفسه.

61. المصدر نفسه.

62. إسعاف النشاشيبي: قلب عربي وعقل أوروبي ص15.

63. إسعاف النشاشيبي: كلمة موجزة في سيرة العلم وسيرتنا معه، القدس 1916م، ص 11 – 13.

64. المصدر نفسه، ص 15.

65. د.فيصل دراج: مقدمته للكتاب الأول من مذكرات خليل السكاكيني. ص23.

66. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا، ص256.

67. المصدر نفسه.

68. د.فيصل دراج: المصدر السابق، ص24.

69. خليل السكاكيني (اليوميات)، الكتاب الخامس (يوميات رسائل، تأملات) بين الأب والابن (1933 – 1934) تحرير: أكرم مسلم ص 16.

70. د. فيصل دراج: المصدر السابق، ص 24 – 25.

71. المصدر نفسه: ص26.

72. المصدر نفسه.

73. د. عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 541.

74. خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا، ص 237 – 238.

75. خليل السكاكيني: ما تيسر ج1، ص 8 – 9.

76. المصدر نفسه: ص 23 – 28.

77. المصدر نفسه: ج2، ص 53 – 76.

78. خليل السكاكيني: مطالعات في اللغة والأدب، ص 75.

79. د.عبد الرحمن ياغي: المصدر السابق، ص 542.

80. د.إسحق موسى الحسيني: هل الأدباء بشر؟ المرجع السابق، ص 64 – 65.

81. جهاد أحمد صالح: خليل السكاكيني... مصدر سبق الإشارة إليه، ص 54 – 55.

82. ناصر الدين الأسد: الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن حتى 1950 – إصدار مؤسسة عبد الحميد شومان، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2000م، ص 11 – 12.

83. خليل السكاكيني: مطالعات في اللغة والأدب، ص 110 – 114.

انظر أيضًا: نص المقالة:

جهاد أحمد صالح: خليل السكاكيني... ملحق رقم "2"، ص 75 – 79.

84. إسعاف النشاشيبي: كلمة في اللغة العربية، مصدر سابق، ص 8 – 9.

85. المصدر نفسه: ص 18.

86. المصدر نفسه: ص 20 – 21.

87. المصدر نفسه.

88. المصدر نفسه: ص 49.

89. المصدر نفسه: ص 53.

90. المصدر نفسه: ص 56.

المراجع

1) أحمد سامح الخالدي: الإعلام بفضائل الشام، القدس 1946م.

2) إسحق موسى الحسيني: هل الأدباء بشر؟ بيروت 1950م.

3) إسعاف النشاشيبي: كلمة في اللغة العربية، القدس 1925م.

4) إسعاف النشاشيبي: كلمة موجزة في سيرة العلم وسيرتنا معه، القدس 1916م.

5) إسعاف النشاشيبي: قلب عربي وعقل أوروبي، القدس 1924م.

6) إسعاف النشاشيبي: مجموعة العربية ومشاعرها الأكبر، العربية والأستاذ الريحاني والعربية في المدرسة، مصر 1928م.

7) إسعاف النشاشيبي: في ذكرى فتاة مكدونيا (قصيدة) النفائس العصرية الجزء الأول – تشرين الثاني 1909م.

8) إسعاف النشاشيبي: البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي، القدس 1932م.

9) إسعاف النشاشيبي: الإسلام الصحيح، القدس 1936م.

10) إسعاف النشاشيبي: مجموعة النشاشيبي، مصر 1925م.

11) إسعاف النشاشيبي: البستان، مصر 1927م.

12) بشار دوماني: إعادة اكتشاف فلسطين – أهالي جبل نابلس (1700 – 1900م) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، رام الله 2011م.

13) جهاد أحمد صالح: التشكيل الروحي والبيئة الثقافية في القدس، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، رام الله 2010م.

14) جهاد أحمد صالح: إسعاف النشاشيبي (1882 – 1948م) علامة فلسطين وأديب العربية، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، رام الله 2010م.

15) جهاد أحمد صالح: خليل السكاكيني (1878 – 1953م) رائد التجديد الفكري والأدبي في فلسطين، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، رام الله 2010م.

16) د. حسام الخطيب: النقد الأدبي الفلسطيني الحديث (1900 – 1985م) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني الجزء الرابع.

17) حسيب نمر: قضية فلسطين (مقال)، مجلة لطريق 6، جزء 17.

18) خليل السكاكيني: كذا أنا يا دنيا، سلسلة احياء التراث الثقافي الفلسطيني (8)، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، الأمانة العامة، بيروت 1982م.

19) خليل السكاكيني (يوميات) – يوميات، رسائل، تأملات (1907 – 1912م)، إصدار مركز خليل السكاكيني الثقافي، ومؤسسة الدراسات المقدسية، رام الله 2003م.

20) خليل السكاكيني: مطالعات في اللغة والأدب، القدس 1925م.

21) خليل السكاكيني: كيف كنا وماذا صرنا، ندوة منشورة في نجلة "النفائس" السنة 7، الجزء 18 سنة 1920م.

22) خليل السكاكيني: (اليوميات)، الكتاب الخامس، بين الأب والابن (1933– 1934م)، تحرير أكرم مسلم، مركز خليل السكاكيني الثقافي، مؤسسة الدراسات المقدسية رم الله 2003م.

23) خليل السكاكيني: ما تيسر، الجزء الأول، القدس 1943م.

24) د. عبد الرحمن الكيالي: الشعر العربي الحديث في نكبة فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1975م.

25) عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني الحديث (من أول النهضة... حتى النكبة) منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله 2001م.

26) عجاج نويهض: الريحاني – وإسعاف والثعالبي، مجلة القلم الجديد، السنة الأولى، عام 1952م.

27) فيصل دراج: مقدمته في الجزء الأول: يوميات خليل السكاكيني – يوميات رسائل، تأملات (1907 – 1912م) إصدار مركز خليل السكاكيني ومؤسسة الدراسات المقدسية، رام الله 2003م.

28) د. قسطندي شوملي: الاتجاهات الأدبية والنقدية في فلسطين، دار العودة، القدس 1990م.

29) د. كامل السوافيري: الأدب الفلسطيني المعاصر في فلسطين، دار المعارف، مصر 1979م.

30) محمد رفيق التميمي: ولاية بيروت – القسم الجنوبي، بيروت 1335هـ.

31) د. محمد شحادة عليان: الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان 1987م.

32) د. ناصر الدين الأسد: الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن حتى 1950، إصدار مؤسسة عبد الحميد شومان، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2000م.

33) وصفي البنّي: حول القضية الفلسطينية (مقال)، مجلة "الطريق" مجلّد 5، جزء 17.